

رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة
عبد العزيز بن محمد بن سعود

تقديم

سماعة الرئيس العام لدار لرسائل النور العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز

وفضيلة

الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

طبع على نفقة

صاحب السمو الملكي الأمير المكرم بندر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود

أجزاك الله مثوبته

أشرف على الطبع

الشيخ حسن بن غانم الغانم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد/

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن آل باز
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين . والصلاة
والسلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه
الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده نبينا
وإمامنا وسيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن سلك
سبيله ودعا بدعوته ونصر سنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه رسالة موجزة يقدمها للقراء صاحب السمو
الملكي الأمير المكرم بندر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن
فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد آل سعود ضاعف الله
ثوبته ونصر به الحق وهي من مؤلفات عم جده الثالث تركي
ابن عبدالله الإمام العلامة ناصر السنة وقامع البدعة عبدالعزيز
ابن محمد بن سعود أمير المؤمنين في عصره وحامل لواء الجهاد
في زمانه في البلاد النجدية وملحقاتها تولى الإمامة بعد أبيه
محمد بن سعود رحمه الله وبايعه الشيخ الإمام محمد بن
عبد الوهاب والأمرء والأجناد والمسلمون بعد وفاة أبيه رحمه
الله عام ١١٧٩هـ . وقام بالإمامة والدعوة إلى الله سبحانه
والجهاد في سبيله أحسن قيام واستمر في ذلك مجاهداً في سبيل

الله ناصراً للسنة وقامعاً للبدعة وناشراً لعلوم الشريعة
ومناصراً للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
ولأنصاره والداعين إلى سبيل الله بسيفه ولسانه وقلمه ولسانه
حتى وافته المنية في عام ١٢١٨ هـ . رحمه الله رحمة واسعة
ورفع درجاته في المهدين وضاعف له المثوبة وجزاه عما قدمه
للمسلمين من نصر وجهاد ودعوة وتعليم وعناية بشئونهم
ومواساة لفقرائهم أحسن الجزاء وأفضله وبارك في أسرته أسرة
آل سعود وأسرة آل الشيخ محمد ونصر بهم الحق كما نصره
بأولهم وجعلهم من الهداة المهتدين انه جواد كريم . وهذه
الرسالة التي يقدمها سمو الأمير بندر كتبها الإمام عبدالعزيز
رحمه الله إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق
وإلى غيرهم من علماء المشرق والمغرب أبان فيها دعوة الشيخ
الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي رحمه
الله وبين أنها هي الدعوة التي دعت إليها الرسل عليهم
الصلاة والسلام وعلى رأسهم إمامهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا
محمد ﷺ وبارك عليه وعليهم أجمعين وأوضح فيها رحمه الله
حقيقة العبادة التي خلق الله من أجلها الثقلين وأرسل بها
الرسل وأنزل بها الكتب وحقيقة الشرك الذي أُنذرت منه
الرسل وحذرت منه أممها وبين رحمه الله الأمور التي أنكرها
الناس على أصحاب هذه الدعوة المباركة وأوضح أدلتها
وكشف الشبه التي تعلق بها عباد الأنبياء والأولياء فجاءت

بحمد الله رسالة كافية شافية في بيان حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأقام الله عليه سبحانه الأدلة والبراهين في كتابه المبين وعلى لسان رسوله الأمين . كما جاءت كافية شافية في بيان الشرك الوخيم الذي حذر الله منه عباده وأنكرته الرسل على أممهم وحكم الله على أهله بالخلود في النار وحرمانهم من دخول الجنة دار الأبرار كما قال عز وجل :

﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ (١)

الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴿٢﴾

وقال عز وجل :

(٣)

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ

أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾

ولعظم شأن هذه الرسالة وكثرة فوائدها رأيت أن أقدم لها هذه المقدمة الموجزة تأييداً لما تضمنته من الحق وبياناً لشيء من ترجمة مؤلفها وعلمه وفضله وما قام به من النصرة لدين الله

(١) سورة المائدة آية ٧٢ .

(٢) سورة النساء آية ٤٨ ، ١١٦ .

(٣) سورة الزمر آية ٦٥ .

والجهاد في سبيله بسيفه وسانه وقلمه ولسانه ومناصرته دعاة الحق وقمعه دعاة البدعة والشرك رحمه الله وأكرم مثواه وأسأل الله أن ينفع بها المسلمين وأن يضاعف الأجر لكاتبها وأن يجزيه أحسن الجزاء وأفضله عما قام به من النصر لدين الله والدعوة إلى سبيله والجهاد لأعدائه وأن يوفق سمو الأمير بندر لكل خير وأن يضاعف ثوبته وأن يجعلنا وإياه وجميع أسرته وإخوانه وجميع أسرة آل الشيخ محمد رحمه الله من أنصار الحق والهدى وأن يعيد الجميع من مظلات الفتن انه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

حرر في ١٥/٦/١٤٠٧هـ

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز

الرئيس العام

للإفتاء والبحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

لفضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا
مُضِلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ،
أما بعد :

فإن الله بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، يبشرون الموحد
المتبع سبيلهم ، وينذرون المشرك المخالف طريقهم ، وإن
دين الإسلام الذي بعث الرسل جميعاً به دين التوحيد هو
الغاية من خلق الإنس والجن ، فما خلقوا إلا للعبادة ، كما
قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)

وقال :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)

فالعبادة الخالصة خلق من أجل تحقيقها الثقلان ، وما

(١) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

أسمائها من غاية ، وما أعظمها من تشریف .

وإن الرسل صلوات الله عليهم إذا بلغوا ثم رحلوا خلف من بعدهم خلوف ، غيروا طريقهم وتنكبوا سبيلهم ، متبعين السبل المتفرقة ، يقودهم الشياطين ، شياطين الإنس والجن ، ويحثهم داعياً الشهوة والشبهة ، ولهما في القلوب شر مستطير ، وتأثير كبير خطير .

وإن رسولنا محمداً ﷺ تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، أبان التوحيد وحى حماه وأوضح سبيل المشركين بالبلاغ والبيان ، صلى الله عليه وسلم وجزاه الله عن أمته خير ماجزى به نبياً عن أمته ، فما توفاه الله إلا والتوحيد الخالص قد عمَّ الأرض الطيبة ، وترى عليه صحابته الكرام ، الذين كتب الله على أيديهم النصر ، وإرساء الدين ، دين الإسلام ، دين التوحيد والبراءة من الشرك ، في أكثر أقطار الأرض والحمد لله رب العالمين .

وبعد هذا الخير العظيم ، وبعد انقضاء القرون المفضلة ، ظهرت في الناس دعوات شركية ، ظاهرها - للمغرور - الإسلام ، وباطنها - للمتبصر - الإلحاد ، منها الدعوات الإسماعيلية الباطنية التي أنتجت دولة العبيدين .

وهذه الدولة انتشر في زمانها بتنشيط دعائها ، ودعمهم وتقويتهم البدع والشركيات العظيمة ، حتى تربى عليه

الصغار ، وأصبح كالمعروف بعد أجيال . ولاغرو ، فإن التربية التي يشب عليها الصغير ويهرم عليها الكبير إذا كانت من ذي سلطان وقوة فلها آثار سيئة على الدين والشريعة ، فالإنكار يقل والراغب يكثر ، والنفوذ والتقرير للبدع والشرك في ازدياد ، وغير ذلك .

ومع إحداث هؤلاء بعض ما وصفناه وكثيراً طويناه لم يعدم المسلمون من ينبه على هذه البدع والشركيات منذ ظهورها إلى يومنا هذا .

ثم إن هذه الشركيات مع تطاول الزمان ، ونتابع القرون ، أصبحت كالشيء المعروف غير المنكر ، المحبوب غير المكروه ، لا يحوم خاطر علي أنه شرك وجاهلية إلا من سلم له دينه وتوحيده ، وقليل ما هم .

وكان من قدر الله الذي شرف به بعض عباده أن هيء لنصرة التوحيد رجلاً أقض مضجعه وأسهر ليله حال المسلمين ، الذين بعدوا عن التوحيد ، وانساقوا مع الغواية والجاهلية ، فمضى يدرس أحوالهم سنين متطاولة ، وزماناً مديداً ، يدرس واقعهم بالدلائل الشرعية الصحيحة الصريحة ، ويدرس السبيل إلى النهوض بهم ، وهدايتهم إلى دين الإسلام الذي بعث به رسول الله محمد ﷺ .

فوفقه الله إلى ما أراد ، فنصر التوحيد قولاً وعملاً ، فأبدل

الله مواقع وبلدان الشرك في الجزيرة ، ببلدان التوحيد والإيمان والاتباع الخالص ، فكانت بلادهم في وقته وبعد ذلك ماشاء الله - أقرب ماتكون إلى حياة الصحابة رضي الله عنهم .

ذلك الرجل هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، المولود سنة ١١١٥ هـ ، والمتوفى سنة ١٢٠٦ هـ .

وما من شك في أن صاحب الدعوة والفكرة لا بد له من سيف يناصره ، ويدّ تعضده ، وإلاّ فما حيلته !

فكان من قضاء الله أن شَرَّفَ بيت «آل سعود» بنصرة هذه الدعوة ، دعوة تجديد دين الإسلام ، وبإله من شرف يفوق كل شرف ، وعز فوق كل عز ، لو عُقِلَ (٢) ذلك ، ووزن ، فنصر الأمير محمد بن سعود رحمه الله الشيخ نصراً مؤزراً ، فاتسعت رقعة البلاد في عهده ، ماشاء الله أن يكون من ذلك .

ثم أتى بعد الإمام محمد بن سعود ولده العالم الصالح المجاهد عبدالعزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله رحمة واسعة ، فتولى الإمامة بعد أبيه بمبايعة الإمام محمد بن عبد الوهاب له سنة ١١٧٩ هـ .

وعبد العزيز كان تلميذاً وطالِباً للعلم على الشيخ محمد بن

عبدالوهاب ، فربّاه أحسن تربية علمية ، ونمائه بعلوم الشرع ، كما نمائه والده بعلوم الجهاد والإمارة . فاجتمعت فيه الخصلتان الغاليتان العلم والقوة .

وما أحسن وأبلغ اجتماع تلك الخصلتين في رجل ولي أمور المسلمين ، إنه نتاج تربية العلماء والأمرء ، أولئك يربون على العلم والدين ، وهؤلاء يربون على الحكم والقوة . فأعظم بها طريقة ، ثم أعظم بأثرها ، وماعداها فطريقة يلحقها من النقص بقدر ما بعدت عن ذلك .

في عهد عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله رحمة واسعة ، توسع الموحدون في غزواتهم وخاضوا الحروب باللسان واللسان ، وبلغت الدعوة للقاصي والداني ، والقريب والنائي ، وكانت الدعوة في أشدها ، وعلومها في أوجها .

ومن ذلك الجهاد اللساني، الذي لم يتركه الإمام عبدالعزيز للعلماء غيره في هذه الرسالة التي قلت صفحاتها ولكنها هي المرتكز لكل المناقشات والردود على أهل الضلال ، إذ فيها تركيز وتحقيق ، يقرُّ بها من طالعها .

وإن مثل هذا الجهاد لواجب على دعاة التوحيد ، وأنصار الدعوة ، وما التخلّف عنه بمحمود ، بل هو مذموم عند أهل العقول والحجى ، وللتخلّف آثاره الدامية الماحية . وما أطيب

وأحسن وأوسع للصدر أن يُعيد طبعة هذه الرسالة حفيد أخي
كاتبها سمو الأمير المفضل بندر بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن
حفظه الله ، ووفقه لكل خير ، فإن في ذلك أبعد الأثر لها ،
وأقرّ للعيون بها .

فحسبى الله أن ينفع بها هذا اليوم ، كما نفع بها ذلك اليوم ،
وأن يرجع للتوحيد قوته ونفوذه ، ويكثر أنصاره والدعاة إليه ،
إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب
العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ

الرياض في ٢٠/١٢/١٤٠٦هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

«من عبدالعزيز بن محمد بن سعود»

إلى من يراه من العلماء ، والقضاة ، في الحرمين ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وسائر علماء المشرق ، والمغرب .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد ، فإن الله عز وجل شأنه ، وتعالى سلطانه لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا تركهم سدى وإنما خلقهم لعبادته ، فأمرهم بطاعته وحذرهم مخالفته ، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة ، أما في ناره بعدله ، أو في جنته بفضله ورحمته ، قد أخبر عز وجل بذلك في كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول أرسله ، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية ، وأخبرتنا به الأحاديث النبوية .

قال تعالى :

(١) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

وقال سبحانه :

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(١)

فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال ، مختصة بجلاله وعظمته ، فهي الغاية المحبوبة له والمرضية عنده ، وبها أرسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ وكذلك قال هود ، وصالح ، وشعيب ، وغيرهم من الرسل كل قال لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾^(٢)

وذلك أن الآله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل .
والآله الحق هو الله .

قال تعالى :

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٣)

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾^(٤)

وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(٥)

(١) سورة الإسراء آية ٢٣ .

(٢) سورة الأعراف من آية ٥٩ إلى آية ٨٥ .

(٣) سورة محمد آية ١٩ .

(٤) سورة النحل آية ٢٦ .

(٥) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

فصل

فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الأعلام رضي الله عنهم كأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد وغيرهم من أئمة السلف .

أن (لا إله إلا الله) معناها ترك كل معبود سوى الله وإخلاص الالهية له تعالى وحده .

وأن توحيد العبادة هو افراد العباد ربهم بأفعالهم التي أمرهم بها في كتابه ، وعلى لسان رسوله فإذا جعلت لغيره تعالى صار ذلك تأليهاً للغير مع الله . وإن لم يعتقد الفاعل ذلك . فالمشرك مشرك شاء أم أبى وليس التوحيد خاصاً بافراد الله بأفعاله تعالى وتقدس ، كخلقه السموات والأرض والليل والنهار ، ورزق العباد وتدبيره أمورهم ، لأن هذا قد أقرّ به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام ويسمى توحيد الربوبية .

(العبادة لغة وشرعاً)

معناها : لغة الذل والخضوع .

وشرعاً : ما أمر به من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي من أفعال العباد وأقوالهم المختصة بجلال الله وعظمته ، كدعائه تعالى بما لا يقدر عليه إلا هو من جلب نفع أو دفع ضرر أو رجائه فيه والتوكل عليه ، وذبح النسك والنذر والإنابة

والخضوع كل ذلك مختص بجلال الله كالسجود والتسبيح
والتهليل ، فكل ذلك مما قدمناه هو معنى قول (لا إله إلا
الله) .

ولا يغني أحد التوحيدين عن الآخر ، بل صحة أحدهما
مرتبطة بوجود الآخر .

لما فهمنا ذلك وعلمنا به قام علينا أهل الأهواء فخرجونا
وبدعونا وجعلوا اليهود والنصارى أخف مناشراً ومن اتباعنا ،
ولم ننازع المخالف في سائر المعاصي بأنواعها ولا المسائل
الاجتهادية ، ولم يجر الاختلاف بيننا وبينهم في ذلك ، بل في
العبادة بأنواعها ، والشرك بأنواعه .

فصل

فنحن نقول ليس للخلق من دون الله ولي ولا نصير .
وجميع الشفعاء سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ فمن دونه —
لا يشفعون لأحد إلا بإذنه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)
﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾^(٢)
﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٣)

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) سورة الكهف آية ١٠٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٨ .

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾^(١)

(٢)

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا ﴾

وإذا كان كذلك فحقيقة الشفاعة كلها لله ، ولا تسأل في هذه الدار إلا منه سبحانه وتعالى .

فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق لجلب الخير أو دفع الشر ، ولا يجعل لهم من حقه شيء ، لأن حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم .

فإن حقه عبادته بأنواعها بما شرع في كتابه ، وعلى لسان رسوله وحق أنبيائه عليهم السلام الإيمان بهم وبما جاؤوا به ، وموالاتهم ، وتوقيرهم ، واتباع النور الذي أنزل معهم ، وتقديم محبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين .

وعلاوة الصدق في ذلك اتباع هديهم والإيمان بما جاؤوا به من عند ربهم ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٣)

والإيمان بمعجزاتهم ، وأنهم بلغوا رسالات ربهم ، وأدوا الأمانة ، ونصحوا الأمة ، وأن محمدًا ﷺ خاتمهم وأفضلهم ، واثبات شفاعتهم التي أثبتها الله في كتابه ، وهي من بعد اذنه

(٢) سورة النجم آية ٢٦ .

(١) سورة الزمر آية ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ٣١ .

لمن رضي عنه من أهل التوحيد .

وأما المقام المحمود الذي ذكر الله في كتابه وعظم شأنه فهو
لنبينا محمد ﷺ . وكذلك حق أوليائه محبتهم ، والترضي
عنهم ، والإيمان بكراماتهم ، لادعائهم ليجلبوا لمن دعاهم
خيراً لا يقدر على جلبه إلا الله تعالى ، أوليدفعوا عنهم سوءً
لا يقدر على دفعه إلا هو عز وجل ، فإن ذلك عبادة مختصة
بجلاله تعالى وتقدس .

هذا إذا تحققت الولاية رُجيت لشخص معين كظهور اتباع
سنة ، وعمل بتقوى في جميع أحواله ، والافقد صار الولي في
هذا الزمان من أطال سبحته ، ووسع كمه ، وأسبل ازاره ،
ومد يده للتقبيل ، وليس شكلاً مخصوصاً ، وجمع الطبول
والبيارق ، وأكل أموال عباد الله ظلماً وادعاءً ورغب عن
سنة المصطفى وأحكام شرعه . فنحن إنما ندعو إلى العمل
بالقرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، الذي فيه الكفاية لمن
اعتبر وتدبر وبعين بصيرته نظر وفكر ، فإنه حجة الله وعهده ،
ووعده ، ووعيده ، فمن اتبعه عاملاً بما فيه جد جده ، وبان
سعده ، ومن خالفه واتبع هواه فقد ضل ضلالاً مبيناً .

والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد ، فلا تقليد فيه ولا
عناد . ولا نكفر إلا من أنكر أمرنا هذا ونهينا ، فلم يعمل بما
أنزل الله من التوحيد ، بل عمل بضده الذي هو الشرك
الأكبر ، والذنب الذي لا يغفر ، كما سنذكر أنواعه ، وجعله

دينًا ، وسماه وسيلة عناداً وبغياً ، ووالى أهله وظاهرهم علينا ، ولم يقم بركان الدين وامتنع من قبول دعوتنا ، وأمر بقتالنا وارجاعنا عن دين الله الحق إلى ما هم عليه من الشرك ، والعمل بسائر مالا يرضي رب العباد ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

وما حجتهم علينا إلا أن المدعو يكون شفيعاً ووسيلة . ونحن نقول أن هؤلاء الداعين الهاتفين بذكر الأموات والأحياء الغائبين يطلبون كشف شدتهم ، وتفريج كربتهم وبراء مريضهم ، ومعاواة سقيمهم ، وتكثير رزقهم وإيجاده من العدم ، ونصرهم على عدوهم براً وبحراً ، ولم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة / وحقيقة قولنا أن الشفاعة وإن كانت حقاً في الآخرة ، فلها أنواع مذكورة في محلها .

ويجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ بل وغيره من الشفعاء ، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ماعدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة وليس منها ما يقصدون . فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً .

كما في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (لكل نبي دعوة مستجابة ، واني خبات دعوتي شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً) .

وحديث أنس بن مالك الذي في الشفاعة بطوله .
وحديث الذراع الذي رواه أبو هريرة المتفق عليه .
وإذا كانت بالوصف فرجاؤه أن يشفع فيه نبيه هو
المطلوب .

فصل

فالمتعين على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى ، بالإقبال إليه والإتكال عليه ، والقيام بحق العبودية لله عز وجل ، فإذا مات موحداً شفع الله فيه نبيه .

بخلاف من أهمل ذلك وتركه ، وارتكب ضده من الاقبال إلى غير الله بالتوكل عليه ، ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله ، والالتجاء إلى ذلك الغير ، مقبلاً على شفاعته متوكلاً عليها ، طالباً لها من النبي ﷺ أو غيره ، راغباً إليه فيها ، تاركاً ما هو المطلوب المتعين عليه ، من اخلاص للعبادة لله وطلب الشفاعة منه ، فهذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ، ولم تنشأ فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد .

ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذنه وحده ، فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، لا ملك ولا نبي ولا غيره ، لأن من شفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه بشفاعته ، ولا سيما ان كانت من غير اذنه ، فجعله يفعل ما طلب منه ، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه ، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه ، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه ، ولهذا قال عز من قائل :

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾

وقال :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ

كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ

وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ

(١) ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾

فمن طلبها من غير الله ، فقد زعم أنها مشروعة بغير إذن الله ورضاه عن المشفوع له .

والله يقول :

(٢) ﴿ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مَن وَلِيَ وَلَا شَفِيعٌ إِلَّا نَتَذَكَّرُونَ ۝٩٥﴾

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا (٣) إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

والعبرة في النصوص بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، مع ملاحظته وعدم الاقتصار عليه —

(١) سورة الأنعام آية ٩٤ .

(٢) سورة السجدة آية ٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ٥١ .

فصل

وأما دعاء الله عز وجل للغير ، فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه سائر ما يقدر عليه .

ودعوة المسلمين بعضهم لبعض مستحبة ، قد وردت بها الآثار الصحيحة في مسلم وغيره ، فإن كانت للميت فهي أكد . وكان النبي ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول : (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

فالميت أحوج بعد الدفن إلى الدعاء ، فإذا قام المسلمون على جنازته دعوا الله له ، وشفعوا له بالصلاة عليه دون أن يدعوه . فبدل أهل الشرك والبدع الدعاء له بدعائه ، والاستغاثة به والهتف باسمه عند حلول الشدة ، وتركوا من بيده ملكوت كل شيء وهو يحير ولا يحار عليه .

كما بدلوا الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت ، وتذكيراً بالآخرة ، بسؤال الميت نفسه وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة ، وحضور القلب وخشوعه عندها ، أعظم منه في الصلاة والمساجد وإذا كان الدعاء مشروعاً لسائر المؤمنين ، فالنبي ﷺ أحق الناس بأن يصلى ويسلم عليه ويدعى له بالوسيلة .

كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ مرة

صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة .

واستشفاع العبد في الدنيا إنما هو فعل للسبب لحصول شفاعته له يوم القيامة طبق ما جاء به قولاً واعتقاداً .

وإنما سئلت له الوسيلة مع تحققها تنوياً بقدره ، ورفعاً لذكره ، ويعود ثواب ذلك إلينا . فهذا هو الدعاء المأثور وهو فارق بين الدعاء الذي أحبه والذي نهى عنه .

ولم يذكر أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة السلف فيما نعلمه أن النبي ﷺ يسئل بعد الموت الاستغفار ولا غيره .

قال الإمام مالك رحمه الله فيما ذكره اسماعيل بن أسحق في المبسوط عنه ، والقاضي عياض في الشفاء والمشارك ، وغيرهما من أصحاب مالك عنه : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي ، وقال أيضاً في المبسوط عن مالك لا بأس لمن قدم من السفر أو خرج إليه يقف عند قبر النبي ﷺ ويصلي ويسلم عليه ويدعوه ، ولأبي بكر ، وعمر ، فقليل له إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه ، وهم يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر يأتون عند القبر

فيسلمون عليه ويدعون ساعة فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه في بلدنا لا من الصحابة ولا غيرهم ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه في بلدنا لا من الصحابة ولا غيرهم ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك : يكررون المجيء إلى القبر ، بل كانوا يكرهونه إلا لمن جاء من سفر وأرادته انتهى .

(١)

وتلاوة الآية في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ الآية

والاستغفار بحضرة القبر ، وإن قال به جماعة من متأخري الفقهاء فهم لم يقولوا يدعى صاحب القبر ، بل المحفوظ عنهم أن الميت والغائب لا يسئل منه شيء لا ، استغفار ولا غيره . وحياته في قبره برزخية لا تقتضي دعاءه ، وأصحابه أعلم بها منا ، ولم يأت أحدهم إلى القبر فيسأله ويستغيث به .

وقد ثبت النهي منه عليه الصلاة والسلام أن يتخذ قبره عيداً . قال أبو يعلى الموصلي في مسنده عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (لا تتخذوا قبوري عيداً

ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين
كنتم) رواه أبو عبدالله محمد بن عيد الواحد المقدسي في
مختاراته .

وروى سعيد بن منصور في السنن عن أبي سعيد مولى
المهرى قال : قال رسول الله ﷺ (لاتخذوا قبري عيداً ولا
بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني)
وروى هذا الحديث أبو داود عن أبي هريرة . ورواه سعيد
أيضاً من حديث الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه
وهذان الحديثان ، وإن كانا مرسلين فهما يقويهما حديث أبي
هريرة المرفوع في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد
رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (لاتشد الرحال إلا إلى
ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، ومسجدي
هذا) وهو حديث ثابت باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول
عنهم ، وهو إن كان معناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد من
المساجد إلا إلى الثلاثة التي قد ذكرت ، فالسفر إلى هذه
المساجد الثلاثة إنما هو للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة
القرآن ، والاعتكاف الذي هو من الأعمال الصالحة .
وماسوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم ،
حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ،
ولا يشرع شد الرحل إليه من بعيد ، ولذلك كان النبي ﷺ
يأتي إليه كل سبت ماشياً وراكباً ، وكان ابن عمر يفعلُه كما في

الصحيح .

وكما أنه أسس على التقوى ، فمسجده ﷺ أعظم في تأسيسه على التقوى ، كما ثبت في الصحيح عنه ، ﷺ أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال : (مسجدي هذا) فكللا المسجدين أسس على التقوى ، ولكن اختص مسجده بأنه أكمل في هذا الوصف من غيره ، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ، ويأتي لمسجد قباء يوم السبت .

وإذا كان السفر إلى مسجد غير الثلاثة ممنوعاً شرعاً مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة ، ويستحب أخرى ، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل مالا يحصى ، فالسفر إلى مجرد القبور أولى بالمنع . ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة التي أحدثها الملوك وأشباهم .

تنبيه :

الأحاديث التي رواها الدارقطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام ، كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة ، منهم ابن الصلاح ، وابن الجوزي ، وابن عبد البر ، وأبو القاسم السهيلي ، وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين بن تيمية وغيرهم . ولم يجعلها في درجة الضعيف إلا القليل ، وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن ، والأئمة كلهم يرون بخلافه .

وأجل حديث روي في هذا حديث أبي بكر البزار ، ومحمد بن عساكر ، حكاه أهل المعرفة بمصطلح الحديث كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما .

وإنما رخص ﷺ في زيارة القبور مطلقاً بعد أن نهى عنها . كما ثبت في الصحيح ، لكن بلا شد رحل وسفر إليها ، للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك كما تقدم .

فصل

وإذا كان السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه دخلت زيارة القبر تبعاً لأنها غير مقصودة استقلالاً ،
وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل محذور عند القبر ، كما تقدم عن مالك .

وما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من السفر لأجل زيارة القبر فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده ، بل يصلي ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم عمر .

ولا يقصد الصلاة عند القبر لعنه ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد ، واللعنة في كلام الله ، وكلام رسوله لا تجامع إلا الحرمة والإثم لا مجرد الكراهة ولقوله : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) .

قال ابن حجر رحمه الله في (الامداد الموسوم بشرح)
(ينوي الزائر المتقرب السفر إلى مسجده ﷺ)
وشد الرحل إليه ، لتكون زيارة القبر تابعة ، انتهى .

واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم ، إما في الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك الأصغر ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين ،

كود ، وسواع ، ويغوث ، وتمثيل طلاس الكواكب ونحو ذلك يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم .

والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو بحجر . ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في الصلاة ، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم ، والاستغاثة بهم ، وسؤال النصر على الأعداء وتكثير الرزق ، وإيجاده ، والعافية ، وقضاء الديون ، ويبدلون لهم النذور لجلب ما أملوه ، أو دفع ماخافوه ، مع اتخاذهم أعياداً ، والطواف بقبورهم ، وتقبيلاً واستلاماً وتعفير الخدود على تربتها ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، والطلبات التي كان عليها عباد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم ، فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته وتفريج كربته ، ويهتفون عند الشدائد باسمه كما يهتف المضطر بالفرد الصمد ، ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران ، والنجاة من النيران وإنها تجب ماقبلها من الآثام ، بل قد وجد هذا الاعتقاد في الأشجار والغيران ، يهتفون باسمها ، واسم من ينسبونها إليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه إلا رب العالمين ، وأكثر ما يكون ذلك عند الشدائد .

فصل

والله تعالى عز شأنه ، قد فسر هذا الدعاء في مواضع أخرى بأنه عبادة محضة ، كقوله :

﴿ ١١ ﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿ ١٢ ﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُم
أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿ ١٣ ﴾ ^(١)

وقوله :

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ ^(٢)

والأنبياء والملائكة والصالحون كل معبود من هؤلاء داخل في عموم قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ^(٣)

كما هو سبب النزول .

وقوله عز شأنه :

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ^(٤)

فدعائهم آلهتهم هو عبادتهم لها ، ولأنهم كانوا إذا جاءتهم

(١) سورة الشعراء آية ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) سورة الانبياء آية ٩٨ .

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠١ .

(٤) سورة الكافرون آية ٢ .

الشدائد يدعو الله وحده وتركوها ، ومع هذا فهم يسألونها بعض حوائجهم بواسطة قربهم من الله ويطلبونها منهم بشفاعتهم لهم . فأمر الله العباد بإخلاص تلك العبادة له وحده ، فلا يدعونهم ولا يسألونهم الشفاعة ، فإن ذلك دين المشركين .

قال الله تعالى فيهم :

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهيرٌ ﴿٢٢﴾
 وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. ﴿٢٣﴾ ﴾

وقال تعالى :

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
 يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا نَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾

وإنما ذكر الله تعالى ذلك عنهم لأنهم يدعون الملائكة والأنبياء ويصورون صورهم ليشفعوا لهم فيما يدعوهم فيه وذلك بطرق مختلفة (ففرقة) قالت ليس لنا أهلية مباشرة دعاء الله ورجائه ، بلا واسطة تقربنا إليه وتشفع لنا لعظمته .

(١) سورة سبأ آية ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء آية ٥٦ ، ٥٧ .

(وفرقة) قالت الأنبياء والملائكة لهم وجاهة ومنزلة عند الله فاتخذوا صورهم من أجل حبهم لهم ليقربوهم إلى الله زلفى .
(وفرقة) جعلتهم قبلة في دعائهم وعبادتهم .

(وفرقة) اعتقدت أن لكل صورة مصورة على صورة الملائكة والأنبياء وكيلاً موكلاً بأمر الله ، فمن أقبل على دعائه ورجائه وتبتل إليه ، قضى ذلك الوكيل ما طلب منه بأمر الله ، وإلا أصابته نكبة بأمره تعالى .

فالمشرك إنما يدعو غير الله بما لا يقدر عليه إلا هو تعالى ويلتجئ إليه فيه ويرجوه منه بما يحصل له في زعمه من النفع ، وهو لا يكون إلا فيمن وجدت فيه خصلة من أربع :
أما أن يكون مالكا لما يريد منه داعيه ، فإن لم يكن مالكا كان شريكاً ، فإن لم يكن شريكاً كان ظهيراً ، فإن لم يكن كان شافعياً . فنفى الله سبحانه وتعالى هذه المراتب الأربع عن غيره ، الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي لأجلها وقعت العداوة والمخاصمة بالآية المتقدمة وبقوله :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ (١)

وقوله :

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ ﴾ (٢)

(١) سورة الإسراء آية ١١١ .

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦ .

- وقوله : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ١٦ ﴾ ^(١)
- وقوله : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ١٩ ﴾ ^(٢)
- وقوله : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤٢ ﴾ ^(٣)
- وقوله : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٨ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ١٩ ﴾ ^(٤)

وأثبت سبحانه وتعالى مالا نصيب فيه لمشارك البتة ، وهي الشفاعة بإذنه لمن رضي عنه وهو سبحانه يعلم السر وأخفى ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

لهذا لما قالت الصحابة رضي الله عنهم : أربنا قريب فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ أنزل الله سبحانه :

- ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ١٠١ ﴾ ^(٥)
- وقال تعالى : ﴿ أَمْ آتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ٤٣ قُلْ أُولَئِكَ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ٤٤ ﴾ ^(٦)

- (١) سورة غافر آية ١٦ .
- (٢) سورة الانفطار آية ١٩ .
- (٣) سورة الفاتحة آية ٤ .
- (٤) سورة طه آية ١٠٨ ، ١٠٩ .
- (٥) سورة البقرة آية ١٨٦ .
- (٦) سورة الزمر آية ٤٣ .

فصل

الموحد من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعالى
الألوهية المقتضية لعبادته في محبته وخوفه ورجائه ودعائه
والإستعانة به ، والتوكل عليه ، وحصر الدعاء بما لا يقدر على
جلبه أو دفعه إلا الله وحده ، والموالاتة في ذلك ، والمعاداة
فيه ، وأمثال هذا ناظراً إلى حق الخالق والمخلوق من الأنبياء
والأولياء مميزاً بين الحقين .

وذلك واجب في علم القلب ، وشهادته ، وذكره ،
ومعرفته ، ومحبته ، وموالاته وطاعته وهذا من تحقيق (لا إله
إلا الله) لأن معنى (الاله) عند الأولين ماتأله القلوب بالمحبة ،
والتعظيم ، والإجلال ، والخضوع ونحو ذلك مما لا يكون إلا
لله .

قال تعالى :

﴿ وَمِنْ (١)

النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ ۚ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴾ (٢)

وهم ماسووهم به لا في الصفات ، ولا في الذات ، ولا في
الأفعال ، كما حكى الله عنهم في الآيات ، والشاهد لله بأنه

(١) سورة البقرة آية ١٦٥ .

(٢) سورة الشعراء آية ٩٧ ، ٩٨ .

لا إله إلا هو ، وقائلها نافياً قلبه ولسانه لألوهية كل ماسواه من الخلق ، ومثبتاً به الألوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق ، فيكون معرضاً عن الوهية جميع المخلوقات لا يتألهم بما لا يقدر عليه إلا الله ، مقبلاً على عبادة رب الأرض والسموات وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله ومفارقته في ذلك كل ماسواه فيكون مفرقاً في عمله ، وقصده ، وشهادته ، وإرادته ، ومعرفته ، ومحبه بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون عالماً بالله ، ذاكرأ له ، عارفاً به ، وانه تعالى مبين لخلقه ، منفرد عنهم بعبادته ، وأفعاله ، وصفاته ، فيكون محباً فيه مستعيناً به لا بغيره ، متوكلاً عليه لا على غيره .

وهذا المقام هو المعني في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) وهو من خصائص الألوهية التي يشهد له بها تعالى عباده المؤمنون .

كما أن رحمته لعبيده ، وهدايته إياهم وخلقه للسموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الآيات ، من خصائص الربوبية التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، حتى ابليس عليه اللعنة معترف بها في قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(٢)

(١) سورة الفاتحة آية ٥ .

(٢) سورة ص آية ٧٩ .

وقوله :

﴿بِمَا أَغْوَيْنَنِي لِأُزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١)

وأمثال هذا الخطاب الذي يعترف فيه بأنه ربه وخالقه ومليكه ، وأن ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس ، وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه وزعمه انه فيما ادعاه وقاله محق . وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالى ، وهم له بها يعترفون ، قال تعالى :

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ

﴿وَلَيْنَ

وقال :

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ لِلَّهِ

(٣)

وقال تعالى :

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٤)

فمن دعا غيره تعالى لم يكن مخلصاً ، وقال تعالى :

(١) سورة الحجر آية ٣٩ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) سورة العنكبوت آية ١ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٦٥ .

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ ﴾

مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿١﴾

وقال تعالى :

﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

نَبَأُ ابْنِهِمْ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿٢﴾

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً .

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي من حديث حصين
ابن عبيد أن رسول الله ﷺ قال : (يا حصين كم تعبد ؟ قال
سته في الأرض وواحد في السماء قال : فمن ذا الذي تعد
لرغبتك ؟ قال الذي في السماء . فقال له رسول الله ﷺ
(أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن) فأسلم فقال له
قل : (اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي) .

فمجرد معرفتهم بربوبيته تعالى واعترافهم بها لم تنفعهم ولم
تدخلهم في الإسلام لما جعلوا مع الله آلهة أخرى يدعونها
ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده ، فبذلك

(١) سورة المؤمنون آية ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) سورة الشعراء من آية ٦٩ إلى ٧٤ .

كانوا مشركين في عبادته ومعاملته . ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم : لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك .

والمقصود

من الأدلة السابقة ، ومما يأتي أن يفهم القارئ أن الدعاء هو العبادة روى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ان الدعاء هو العبادة —

وفي رواية — مخ العبادة) ثم قرأ رسول الله ﷺ

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴿١﴾ رواه أبو داود والترمذي وقال

حديث حسن صحيح ، ورواه أيضاً النسائي ، وابن ماجه والحاكم والإمام أحمد وابن أبي شيبة بهذا اللفظ .

وهذه الصيغة تفيد حصر الدعاء على العبادة فلا يخرج عنها

لأنها من الصفات اللازمة التي ليس لها مفهوم يخالف الظاهر

كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ (٢)

إذ كل مدعو فهو اله قصد الداعي أن يكون مدعوه إلهاً أم

لا ، اتخذ المشركون الأولون أم لا ، وليس ثم دعاء اله آخر

له برهان .

(١) سورة غافر آية ٦٠ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١١٧ .

فصل

يوضح ما قدمنا أن الله سبحانه وتعالى وصف دين المشركين بقوله :

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١)

الآية : فبين في هذه الآية أن قصدهم الشفاعة .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال فقلت ثم أي قال) (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قال قلت ثم أي ؟ قال : (ان تزاني بحليلة جارك) فأنزل الله تصديقها

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾^(٢)

فبين النبي ﷺ أن أعظم الذنوب الشرك بالله الذي هو جعل الانداد واتخاذهم من خلقه ليقربوهم وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ان الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم .

فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه

(١) سورة الزمر آية ٣ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٨ .

فصل

والشرك شركان .

أكبر وله أنواع ، ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً . وشرك أصغر كالرياء والسمعة ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيри تركته وشركه) .

ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ (من حلف بغير الله فقد أشرك) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان . وقال ﷺ : (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) أخرجه الشيخان وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال له رجل ماشاء الله وشئت قال : (اجعلني لله ندا؟ قل ماشاء الله وحده) والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة ، وتجب التوبة منه ومن كل ذنب .

فصل

فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قولهم :

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾^(١)

وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم وهم ثلاثة نفر توسلوا إلى الله بالأعمال الصالحة . والحديث في صحيح البخاري .

ولله سبحانه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

وكسؤال الله بأسمائه الحسنى قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾^(٢)

وكالأدعية الماثورة في السنن (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام) وأمثال ذلك ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾^(٣)

(١) سورة آل عمران آية ١٩٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٣) سورة المائدة آية ٣٥ .

والوسيلة القرب التي يتقرب بها إلى الله وتقرب فاعلها منه ، وهي الأعمال الصالحة لما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (قال الله من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب وماتقرب لي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) الحديث .

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أهمه أمر فزع إلى الصلاة لأنها أعظم القرب إلى الله تعالى ، قال الله تعالى :

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(١)

وأما التوسل بمخلوق وجعله واسطة بين الله وبين عبده ، فهو عين مانهى الله عنه في الآيات وأنزل بقبحه الكتب وأرسل الرسل : ومنه ما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا الهأ كماً لهم آلهة)^(٢) وكان قصدهم يتقربون به .

(١) سورة البقرة آية ٤٥ .

فصل

وأما الاقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق العلماء ، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه أو تحريم ؟ على قولين (أصحهما) أنه كراهة تحريم ، واختاره العز بن عبد السلام في فتاويه . قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة رحمهما الله لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول بمعاقدة العز من عرشك ، أو بحق خلقك ، وهو قول أبي يوسف . قال أبو يوسف بمعاقدة العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، والمشعر الحرام .

قال القدوري رحمه الله : المسألة بحق المخلوق لا تجوز لهذا فلا يقول : أسألك بفلان وبملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق ، انتهى .

وأما قوله : (وبحق السائلين غليك) ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ، ومع صحته فمعناه بأعمالهم لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والإجابة ، وهو تعالى وعد أن يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

وإذا وإلى العبد ربه وحده أقام الله له ولياً من الشفعاء ، وهي الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله .

بـخلاف من اتخذ مخلوقاً من دون الله أو معه ، فهذا نوع
وذلك نوع آخر .

كما أن الشفاعة الشركية الباطلة نوع ، والشفاعة الحق
الثابتة التي تنال بالتوحيد نوع آخر .

فصل

ومما استدلل به علينا الخصم وزعم أن دعوة غير الله وسيلة قوله : (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم شفعه في) رواه الترمذي والحاكم وابن ماجه عن عثمان بن حنيف فجوابه من وجوه .

(الأول) انه في غير محل النزاع إذ ليس فيه سؤال النبي ﷺ نفسه ، وإنما فيه سؤال الله وحده أن يشفع فيه نبيه .

فأين هذا من عمارة القبور والقاء الستور عليها وتسريحها الذي وردت النصوص الصريحة الصحيحة في تحريمه كما في السنن أنه صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ، وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم حتى ابن حجر الهيتمي وغيره حددوها بأنها ما أتبع بلعنة أو غضب أو نار .

والأحاديث في تحريم عمارة القبور كثيرة في الصحيحين وغيرهما وارتكاب الكبائر والبناء على القبور ونحوه جنى على الأمة أعظم البلاء من دعاء أصحابها ورجاءهم ، والالتجاء إليهم ، والنذر لهم ، وكتب الرقاع لهم ، وخطابهم ياسيدي افعل كذا وكذا ، وبهذا عبدت اللات والعزى ، والويل كل الويل عندهم لمن عاب وأنكر عليهم .

ومن قارن بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وزيارتها ، وماكان عليه أصحابه ، وبين ماعليه الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر ، مناقضاً له . فإننا لله وإنا إليه راجعون .
وإذا كان سبب قول الله عز وجل :

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)

مجيء خبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، وقوله : نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أنداداً فتقولون : ماشاء الله وشاء فلان فقال رسول الله ﷺ «أما انه قد قال حقاً» وأنزل الله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وممن أخرج الحديث جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في تفسيره .

وهؤلاء يحب أحدهم معتقده أكثر من حب الله ، وان زعم أنه لايجبه كحبه ، فشواهد الحال تشهد عليه بذلك ، فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله ، ويحلف بالله كاذباً ولا يحلف بمعتقده . فلا جامع بين مااستدلوا به علينا وبين مانهيناهم عنه .

(الثاني) ان الحديث دليل لنا أنه لا يدعى غير الله عز وجل ، فإن قوله : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ (نبي الرحمة) سؤال لله عز وجل لا للمخلوق . وتوجه إليه بدعاء نبيه بدليل ما يأتي بعد . وقوله : (يا محمد إني

(١) سورة البقرة آية ٢٢ .

أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي . اللهم شفعه في)
معناه : أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته التي معناها في هذه
الدار الدعاء ، ولهذا قال في تمام الحديث : (اللهم شفعه في)
أي استجب دعاءه وهذا متفق على جوازه ، إذ الحي يطلب
منه سائر مايقدر عليه .

أما الغائب والميت فلا يستغاث به ، ولا يطلب منه مالا
يقدر عليه . قال الله تعالى :

(١) ﴿ قُلْ إِنْ أَلَمْتُكُمْ اللَّهُ ۖ ﴾

إنما غايته طلب الدعاء من الحي ، وقبول شفاعته عند الله
عز وجل ، وهو ﷺ انتقل من هذه الدار إلى دار القرار بنص
الكتاب والسنة واجماع الأمة .

ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس بن عبد المطلب ،
وطلبوا منه أن يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط ، أخرجه
البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ، ولم يأتوا إلى قبره
ولا وقفوا عنده مع أن حياته ﷺ في قبره برزخية .

والدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتباع . ولو كان هذا
من العبادات لسنة الرسول ، ولكان أصحابه أعلم بذلك
وأتبع . ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة

(١) سورة آل عمران آية ١٥٤ .

احتياجهم وكثرة مدلهما تم . وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله وأحرص على اتباع ملته من غيرهم ، بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده وهم خير القرون التي نص عليها النبي ﷺ في قوله : «خيركم قرني ثم الذين يلونهم» قال عمران : لا أدري أذكر اثنين أو ثلاثاً بعد قرنه . أخرجه البخاري في صحيحه .

(الثالث) أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله بغير محمد ﷺ وخرجوا عن محل النزاع إلى شيء آخر ، وهو التوسل بغير رسول الله ﷺ ولا دليل فيه أصلاً ، لأنهم صرحوا بأنه لا يقاس مع الفارق . فلا يجوز لنا أن نقول : اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك برسولك نوح ، يارسول الله يانوح .

ولا لنا أن نقول : إنا نسألك ونتوجه إليك بخليك إبراهيم ولا بكليمك موسى ، ولا بروحك عيسى ، مع أن الجامع في نوح عليه السلام الرسالة ، وفي إبراهيم عليه السلام الخلقة مع الرسالة ، وفي موسى عليه السلام الكلام مع الرسالة ، وفي عيسى روح الله وكلمته مع الرسالة ، فليس لنا أن نقول هذا لأنه لم يرد ، ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد . والقياس إنما يباح عند من يقول به للحاجة في حكم لا يوجد فيه نص . فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به ولا حاجة لنا إلى قول مخترع يجر إلى الشرك ، خصوصاً مع ماورد فيه ، وأنه في هذه الأمة أخفى من ديب النمل وأن هذه

الأمّة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فالناجية من اتبع ماكان عليه ﷺ وأصحابه .

(الرابع) أن الوسيلة ليست هي أن ينادي العبد غير الله ، ويطلب حاجته التي لا يقدر على وجودها إلا الرب تبارك وتعالى ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وأن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه .

فصل

ومما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله في المهمات قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود «إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا» .

وفي رواية (إذا أعتيت فلينادي يا عباد الله أعينوا) وهذا من جملة الجهل والضلال ، واخراج المعاني عن مقاصدها من وجوه .

(الأول) أن هذه ليست بوسيلة أصلاً ، إذ معنى الوسيلة يتقرب به من الأعمال إلى الله عز وجل وهذا ليس بقربة .
(الثاني) أن الحديثين غير صحيحين .

أما الأول فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع عن عقبة رضي الله عنه ، وحديث انفلات الدابة عزاه النووي رحمه الله لابن السني وفي اسناده معروف بن حسان ، قال ابن عدى هو منكر الحديث ولا دليل في هذين الحديثين مع ضعفهما ولا في الحديث المتقدم قبلهما على دعاء أصحاب القبور كعبد القادر الجيلاني من قطر شاسع ، بل ولا ينادي غيره لا الأنبياء ، ولا الأولياء ، إنما غايته أن الله عز وجل جعل من عباده من لا يعلمهم إلا هو سبحانه (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وإذا نادى شخصاً باسمه معيناً فقد كذب على رسول الله ﷺ ونادى من لا يؤمر بندائه ، وليس معنى الحديث في كل حركة

وسكون وقيام وقعود ، وإنما أبيع له ذلك إن أراد عوناً على حمل متاعه أو انفلتت دابته ، هذا مع تقدير صحة الحديث .

(الثالث) إن الله تعالى قال :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)

فبعد أن أكمله بفضلله ورحمته . لا يحل أن نخترع فيه ما ليس منه ونقيس مالا قياس عليه .

(الرابع) ان الحديث الصحيح إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به ، فإنهم قالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به إذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة ، فكيف العمل بالحديث المتكلم فيه بما لا يدل عليه دلالة مطابقة ، ولا تضمن ، ولا التزام ، فهذا هو البهتان .

(الخامس) انهم دعموا اجابتهم بذكر من يعتقدونه ونسبوا الأفعال إليهم ، وكل أحد يذكر ما وقع له من الاستغاثة بفلان وانه أنجده ، وكشف شدته .

فإذا قال أحد سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ، سبحانك هذا بهتان عظيم قاموا عليه وخرجوه وبدعوه ، وقالوا معلوم أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : فإذا قال نعم ولكن ليس لأحد منهم ملكوت خردلة والله

(١) سورة المائدة آية ٣ .

يقول :

﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۚ إِنَّ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْمَعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ ۚ ۞ ^(١)

يكون جواب من يدعي العلم والإنصاف أن هذه الآية نزلت
في عبادة الأصنام فيقال له : (العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب) .

ومن المكابرة أن يعمل شخص كعمل المشركين أو أشد ثم
يقول أنا لست بمشرك ، فلم يبق لهذا الزاعم ما يتشبث به إلا
قوله بأن الأمة مطبقة على هذا ، والأمة لا تجمع على ضلالة .
فيلزم تضليل الأمة وتسفيه الآباء .

وجوابه أن هذا كذب على الأمة ، وهذه كتب الحديث
والتفسير كلها تنص على أن لا يجوز أن يدعي غير الله عز وجل
بما لا يقدر عليه إلا هو ولا يباح ، بل الآيات البينات
والأحاديث وأقوال العلماء ترشد أن هذا شرك محقق والله تعالى
يقول لرسوله ﷺ :

﴿ قُلْ

تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا ۚ ۞ ^(٢)

(١) سورة فاطر آية ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .

ويقول :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(١)

والأحاديث ونصوص العلماء لا تخالف الكتاب .

(السادس) أنهم اختلفوا في التوسل إليه بشيء من مخلوقاته تعالى وتقدس هل هو مكروه أو حرام ، والأشهر الحرمة كما قال به أبو محمد العز بن عبد السلام في فتاويه أنه لا يجوز التوسل إليه بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم ، وتوقف في حق نبينا محمد ﷺ هل فيه الحرمة أو الكراهة ، وتقدم قول أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله .

(السابع) أنهم يشترون أولادهم ممن يعتقدون فيه السر والبركة ويعبدونهم لهم ويبنون لهم الزوايا ويعمرونها بآلات الطرب واللهو ومطارق الحديد يضربون بها أنفسهم ، ومن أولئك جماعة يعرفون بالعلوانية ، والقادرية والرفاعية وأشباههم ، وهذه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان .

والله قد سمانا المسلمين . قال الله تعالى :

﴿ مَلَّةَ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ ﴾

﴿ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ﴾^(٢)

(١) سورة الإسراء آية ٢٣ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

وإذا مرض هذا المشتري من المعتقد نذر أهله له النذور ،
ولم يزل يستغيث به أن يشفي سقمه ، ويكشف شدته ، وهذا
الأمر سرى في العلماء والجهال ، فهم قد غلبت عليهم العوائد
وسلبت عقولهم عن تفهم المراد والمقاصد ، من الكتاب
والسنة ، وكلام الأئمة إلا من شاء الله .

فصل

فبهذا يتبين أن الشيطان اللعين خدع أهل البدعة والجهل فنصبوا قبوراً يعظمونها ويعبدونها من دون الله ، ثم أوحى إلى أوليائه أن من نهى عن عبادتها واتخاذها أعياداً فقد انقصها حقها ، فيسعى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقوبتهم .

وما ذنبهم عند هؤلاء إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد ، ونهوههم عن الشرك بأنواعه وقالوا بتبطله ، فعند ذلك غضب أولئك المشركون ، واشمأزت قلوبهم . وقالوا قد انتقصوا أهل المقامات والرتب ، فاستحقوا الويل والعتب ، وزعموا أنا لانحترم الصالحين ولا نحبههم حتى سرى ذلك في نفوس الجاهل والطغام وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين ، وبسبب ذلك عادونا ورمونا بالعظائم والجرائم ، ونسبوا كل قبيح إلينا ، ونفروا الناس عنا وعمّا ندعوا إليه ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا ، وزعموا أنهم أولياؤ الله وأنصار دينه ورسوله وكتابه ويأبى الله ذلك ، فما كانوا أوليائه أن أولياؤه إلا المتقون ، الموافقون له ، العارفون به ، وبما جاء به ، والعاملون به ، والداعون إليه لا المتشبعون بما لم يعطوا ، اللابسون ثياب الزور ، الذين يصدون الناس عن دين نبهم وهديه وسنته ويغونها عوجاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وتعظيم الأنبياء والأولياء واحترامهم ومحبتهم متابعتهم فيما يحبونه ويأمرون به ، وتجنب مايكرهونه وماينهون عنه قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ^(١) ﴾

فأهل التوحيد أين كانوا أولى بهم وبمحبتهم ونصرة طريقهم وسنتهم وهديم ومناهجهم ، وأولى بالحق قولاً وعملاً من هؤلاء المبتدعة الذين كانوا هم أعصى الناس لهم وأبعدهم عن هديهم ومتابعتهم . وصنيعهم معهم كصنيع النصارى مع المسيح ، وكاليهود مع موسى ، والرافضة مع علي .

ومن أصغى إلى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشياطين وشركهم الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وينبت النفاق في القلب .

وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول واجتهد في اقتباس الهدى والعلم منها أغنياه عن البدع والشرك والآراء والترخصات والشطحات والخيالات التي هي وساوس الشيطان .

وكذلك من عمر قلبه بمحبة الله وبخشيته والتوكل عليه أغناه أيضاً عن عشق الصور ، وإذا خلا عن ذلك صار عبد هواه أي شيء استحسنة ملكه واستعبده .

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .

فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان مشرك شاء أم أبى .
كما في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي واسمه حيان بن
حصين قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا
أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثلاً إلا
طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

وفي الصحيح أيضاً عن ثمامة بن شفى الهمداني قال : كنا
مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة
بقبره فسوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها . وقد
أمر به وفعله الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون .

قال الشافعي في (الام) ورأيت الأئمة بمكة يأمرؤن بهدم
مايبنون على القبور . ويؤيد الهدم قوله (ولا قبراً مشرفاً إلا
سويته) وحديث جابر الذي في صحيح مسلم نهى ﷺ عن
البناء على القبور ولأنها أسست على معصية الرسول لنهيه عن
البناء عليها وأمره بتسويتها فبناء أسس على معصية الرسول
ومخالفته بناء غير محترم وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب
قطعاً ، وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً إذ
المفسدة أعظم حماية للتوحيد والله المستعان وعليه التكلان
وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على أفضل المرسلين سيدنا
ونبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين .

المطابع الأهلية للأوقاف

الرياض ١١٤٦١ - ص. ب. ٢٩٥٧ تلفون: ٤٠٢٧٥٤٦